

دلائل الإعجاز

(وغداة ریحٍ قد كَشَفَتْ وقريرةٍ ... إذْ أصدبتْ بيدِ الشِّمالِ زمامُها) .
ذاك أنه ليس هاهنا شيءٌ يَزْعُمُ أنْ زَمَّه شَبَّهه باليد حتى يكون لفظ اليد مستعاراً له .
وكذلك ليس فيه شيءٌ يُتَوَهَّمُ أن يكونَ قد شَبَّهه بالزِّمامِ وإنما المعنى على أنه
شَبَّهه الشِّمالَ في تصريفها الغداةَ على طبيعتها بالإِنسانِ يكون زمامُ البعير في يَدِهِ .
فهو يُصْرِّفُهُ على إرادته . ولما أراد ذلك جعلَ للشمالِ يداً وعلى الغداةَ زماماً .
وقد شرحتُ هذا قَدِلاً شرحاً شافياً .

وليس هذا الضربُ من الاستعارة بدون الضربِ الأولِ من إيجابِ وصفِ الفصاحةِ للكلامِ لا بلْهُ
هو أقوى منه في اقتضائها . والمحاسنُ التي تظهرُ به والصورُ التي تحدثُ للمعاني بسببه
آنقُ وأعجبُ . وإنْ أردتَ أن تَزِدَ دادَ علماً بالذي ذكرتُ لك من أمره فانظُرْ إلى قوله -
الرجز - :

(سَقَّتْهُ كَفٌّ اللَّيْلِ أَكْوَسَ الكرى ...) .

وذلك أنه ليس يَخْفَى على عاقلٍ أنه لم يُرَدِّدْ أن يشبِّهه شيئاً بالكفِّ ولا أرادَ ذلك
في الأكْوَسِ . ولكن لَمَّا كان يقالُ : سَكَّرُ الكرى وسكَّرُ النومِ واستعار للكرى الأكْوَسَ
كما استعارَ الآخِرُ الكأسَ في قوله - البسيط - :
(وقد سقى القومَ كأسَ الذِّعسةِ السَّهَرُ ...) .

ثم إنه لما كان الكرى يكونُ في الليلِ جعلَ الليلَ ساقياً . ولما جعله ساقياً جعلَ
له كفّاً إذْ كان الساقى يناوِلُ الكأسَ بالكفِّ . ومن اللَّطِيفِ النادرِ في ذلك ما
تراهُ في آخِرِ هذه الأبياتِ وهي للحكم بن قنبر - الطويل